انقلابات جمعوية داخل القنصليات المغربية بإيطاليا

حسن شاكر

«منذ أكثر من 12 سنة وهو يعيش حالة اللاشيء، منظره يثير الشفقة وتضاريس وجهه تخبرنا بوجع الهزيمة. لم يعد قادرا على المقاومة ويريد العودة لوطنه..» هذا ما أخبرتنا به مسؤولة عن جمعية أوفرسيز الإيطالية. رفع خالد (اسم مستعار – 37 سنة) العلم الأبيض معلنا استسلامه أمام الغربة بعد سنوات طويلة من الضياع.. فهو بدون أوراق إقامة ولم يستطع إثبات هويته المغربية أمام قنصلية بولونيا رغم أن لغته ولكنته وملامحه الغارقة في المغربية لم تشفع له بالحصول على شهادة إثبات الهوية.. الجمعية الإيطالية وراهب كنيسة المدينة تبنيا حالة «خالد» وتطوعا لتلبية رغبته لتنظيم عملية عودته الطوعية. لقد مر أكثر من شهر على انتظارهم لشهادة «دعه يمر» من طرف قنصلية بولونيا. من جانبنا حاولنا كمجتمع مدني الاتصال بقنصلية وكما كان متوقعا فسعادة القنصل ونائبه المطيع المكلف بالمصلحة الاجتماعية تشغلهم أشياء أخرى غير مصالح المواطنين المغلوبين على أمرهم كتدبير انقلابات جمعوية أيام الآحاد 12 و19 فبراير بمقر القنصلية بمشاركة أشقاء عرب وطرد مغاربة وضعتهم قنصلية بولونيا بإيطاليا في اللائحة السوداء، في حنين واضح لوداديات زمان وتراجع خطير في تخليق ودمقرطة العمل الجمعوي..

فاطمة (اسم مستعار– 35 سنة) بملامح بدوية كانت شبه تائهة بمطار بولونيا وكل الحاضرين يتهامسون بكل حزن لقد فقدت ابنتها هدى (18 سنة) التي استسلمت لمرض سرطان الدم بعد صراع مرير لازمها منذ مدة طويلة، فالعائلة تمسكت بالأمل عند وصولها إلى إيطاليا، لكن لا تدري نفس بأي أرض تموت. السيدة فاطمة كانت وحيدة، فقنصلية بولونيا . كما كانت تقول هي للجميع . أخبرتها بأنها ستتكفل بإرسال جثمان «هدى» إلى المغرب... تجهش بالبكاء وتقول لكل من صادفته إن زوجها يقول لها هل ستعودين بدون ابنتي «هدى»؟ تجيب وهي باكية سأعود بملابسها فقط وترفع عاليا وبكل تلقائية حقيبة بالية بها ملابس الفقيدة.. شعور استفز مشاعر كل المسافرين المغاربة وتساءلوا عن دور الجمعيات وعن دور المصالح الاجتماعية بالقنصليات، حيث استنكروا عدم مرافقة مسؤول عن المصلحة لهذه الأم المكلومة في فلذة كبدها أثناء السفر وذلك أضعف الايمان... فاطمة سيدة شابة قوية وعنيدة كانت تجفف دموعها بسرعة لتحتفظ بها لتبلل بها قبر ابنتها هناك في القرية.

عز الدين (اسم مستعار) شاب مغربي فصل قطار بضائع بمدينة مودينا رأسه عن بقية جسده في حادث غريب ورهيب أمام مرأى صديقه قادما إليه من مدينة بيرغامو لزيارته، يقولون إنه كان يهاتف أخاه أثناء الحادث وكان وراء الخط الأصفر المخصص للمسافرين في محطة القطار.. ومازال البحث لتحديد ملابسات الحادث جاريا. وفي حديثنا إلى قنصلية بولونيا أخبرنا أنهم لم يتوصلوا بأي خبر، ربما لأن الهالك يقطن ببيرغامو وهي تابعة لقنصلية ميلانو، وبالتالي فمن المستبعد تدخل قنصلية بولونيا، في حين نرى ضرورة تدخل بولونيا بغض النظر عن الاختصاص الجغرافي للحفاظ على مصالح ذوي حقوق الشاب «عز الدين»، خاصة وأن وسائل الاعلام المحلية تداولت فرضية الانتحار في بادئ الامر، لكن شهود عيان أقروا بتواجده وراء الخط الأصفر وانعدام أسباب الانتحار، وبهذا لا نحبذ تهاون المصالح الاجتماعية ببولونيا حتى لا يضيع تأمين التعويض على العائلة.

نسوق هذه الحالات فقط لأن غيرها كثير، ليس للطعن في المصلحة الاجتماعية بالقنصليات، ولكن لننبه إلى أن الحلول الترقيعية لم تعد مقبولة، فالمكلف بهذه المصلحة لا يجب أن يكون بارعا في الانحناء للقنصل فقط، بل أن تتوفر المصلحة على فريق عمل متخصص وشبكة مستشارين قانونيين في كل أنحاء نفوذ القنصليات، لأن تجريد القنصلية من مصلحة اجتماعية قوية من حيث التجهيز (سيارة خاصة) والتسيير (فريق عمل قوي) سيجعلها فقط ملحقة إدارية جوفاء..

في كل مرة نسأل فيها المسؤول الجديد عن المصلحة ببولونيا نتلقى الجواب نفسه «أنا يالاه بديت ولقيت روينة..» جواب ينم عن سوء عمل القنصلية وارتجالية في توزيع رئاسة المصالح حسب الولاءات.. وهو الجواب نفسه بمناسبة تغيير القناصلة «هاذا ولد الناس باغي يخدم ماشي بحال لاخر..» حيث يجب على الموظفين الكف عن إقامة حملات تجميل لسمعة القناصلة الجدد الذين سرعان ما ينقلبون عليهم في كواليسهم ويشبعونهم نعوتا نترفع عن ذكرها.

إن حالات عدم الارتقاء الاجتماعي ارتفعت أيضا بفعل الأزمة الاقتصادية ولم نسمع منذ بدايتها في 2008 بانعقاد أي اجتماعا للمصالح الاجتماعية ولو لتطييب الخاطر.. فمسؤولي هذه المصالح متخصصين في استجداء عطف المهاجرين بأنهم يعملون بدون ضمانات وبدون امكانيات مادية وبشرية وأن عنصرا واحدا غير كاف لسد كل المتطلبات، وقد سبق أن دعونا في «الوطن الآن» عدد 322 لسنة 2009 إلى إعادة النظر في اختصاصات هذه المصالح وقمنا بتشخيص متواضع للمشكلة واقتراح بعض البدائل.. لأن الوضع الحالي فيه غموض وعدم تحديد الاختصاصات يساهم في تراكم المشاكل، لكل ذلك فنحن لن نمل من المطالبة بإعادة النظر في المصالح الاجتماعية ورؤسائها الأفاضل، فما هكذا تورد الإبل يا سعد!!

التجمع الديمقراطي للجمعيات المغربية بايطاليا